المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية

International Journal of Research and Islamic Studies

ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

القديس أوغسطين الوجه الآخر

دراسة وصفية تحليلية

الباحث محمد بويحي

الدكتور عنتر قجور

مقارنة الاديان- كلية العلوم الاسلامية- جامعة الجزائر-يوسف بن خدة

E-mail: mohamedbouyahia1990@gmail.com

ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز الوجه الآخر للقديس أوغسطين، ونقصد به ذلك الرجل الحقود على إخوانه الدوناتيين ومجرم الحرب، ومحاولة الكشف عن هذا الجانب من حياة هذا الرجل تقتضي دراسة الموضوع في إطاره المكاني والزماني، فالظروف التي عاشها أوغسطين عبر مراحل حياته المختلفة في إطار ظاهرة الصراع الديني المسيحي في المغرب القديم في الشمال الإفريقي **في القرنين الرابع و الخامس ميلاديين** الذي أفضى إلى انقسام الديانة المسيحية إلى فريقين: **الكنيسة الكاثوليكية** الموالية للاستعمار الروماني و**الحركة الدوناتية** نسبة إلى **دوناتوس،** وهي حركة دينية سياسية كانت تهدف إلى الاستقلال عن الكنيسة الرسمية، كما كانت تسعى إلى الثورة على السلطة الرومانية باعتبارها استعمارا.

ولأن أوغسطين كان يمثل الشخصية البارزة في الكنيسة الكاثوليكية والعدو اللدود للدوناتيين في هذه الفترة فإنه أعلن حربه مبكرا على هذا الفصيل الذي يعتبر في نظره حركة مهرطقة منذ أن رسم كاهنا ثم أسقفا على كنيسة مدينة هيبو، مستعملا كل الوسائل لإخماد ثوراتها ضد السلطة الرومانية الحاكمة، وضد الكنيسة الكاثوليكية . هذه الظروف كشفت إلى حد ما عن الوجه الآخر للقديس أوغسطين الرجل الحاقد على الدوناتيين ومجرم الحرب الذي اضطهد إخوانه، وضيق عليهم ناسيا أو متناسيا المبادئ المسيحية .

الكلمات المفتاحية:

القديس أوغسطين -الوجه الآخر-الصراع الديني المسيحي-الكنيسة الكاثوليكية -الحركة الدوناتية -الهرطقة.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية

International Journal of Research and Islamic Studies

ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

Research Summary

This study aims to highlight the other side of saint Augustine, the man who hates his Donati brothers as he is a war criminal. This is an attempt to uncover this side of this man's life which requires studying the subject in its spatial and temporal context.

The circumstances that Augustine lived through the different stages of his life in the context of the phenomenon of Christian religious conflict in In North Africa in the fourth and fifth centuries AD, which led to the division of Christianity into two groups :

Catholic Church loyal to Roman colonialism and Donate movement relative to Donatus which is a religious , political movement that aimed at independence from the official church.This movement aimed also to revolt against Roman authority as colonialism.Because Augustine was the leading figure in the Catholic Church, the archenemy of the Donatists during this period, he declared his war early on this faction, which in his view is considered a heretical movement. Augustine used all means to put down their revolts against the ruling Roman authority and against the Catholic Church. These circumstances revealed to some extent the other side of St. Augustine, the spiteful man against the Donatists and the war criminal who persecuted his brothers and distressed them by forgetting or forgetting Christian principles.

Keywords :Saint Augustine - The Other Side - Christian Religious Conflict - The Catholic Church - The Donat Movement - Heresy.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية

International Journal of Research and Islamic Studies

ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

المقـــــــــــــدمة:

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا. وأشهد ألاّ إله إلاّ الله ولي الصالحين وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدّين.

أمّا بعد

التّعريف بالموضوع:

إن الحديث عن القديس أوغسطين أخذ حيّزا واسعاً في كتابات رجال الفكر الغربيين منهم والعرب بشتى أديانهم وأطيافهم، وكانت معظم كتاباتهم تبرز الجانب المشرق من حياة هذا الرجل إلا قليلا، أما أوغسطين الوجه الآخر ونقصد به ذلك الرجل الحقود ومجرم الحرب فلا نكاد نجد له أثرا في كتاباتهم إلا قليلا، ولمحاولة الكشف عن هذا الجانب من حياة هذا الرجل لابد من دراسة الموضوع في إطاره المكاني والزماني، فالظروف التي عاشها أوغسطين عبر مراحل حياته المختلفة في إطارظاهرة الصراع الديني المسيحي في المغرب القديم في الشمال الإفريقي **في القرنين الرابع والخامس ميلاديين** الذي أفضى إلى انقسام الديانة المسيحية إلى فريقين،**الكنيسة الكاثوليكية** الموالية للاستعمار الروماني و**الحركة الدوناتية** نسبة إلى **دوناتوس** وهي: حركة دينية سياسية كانتتهدف إلى الاستقلال عن الكنيسة الرسمية، كما كانت تسعى إلى الثورة على السلطة الرومانية باعتبارها استعمارا،ولأن أوغسطين كان يمثل الشخصية البارزة في الكنيسة الكاثوليكية العدو اللدود للدوناتيين في هذه الفترة، فإنه أعلن حربه مبكرا على هذا الفصيل الذي يعتبر في نظره حركة مهرطقة منذ أن رُسِّم كاهنا ثم أسقفا على كنيسة مدينة هيبو مستعملا كل الوسائل لإخماد ثوراتها ضد السلطة الرومانية الحاكمة وضد الكنيسة الكاثوليكية.هذه الظروف كشفت إلى حد ما عن الوجه الآخر للقديس أوغسطين الرجل الحاقد على الدوناتيين ومجرم الحرب الذي اضطهد إخوانه وضيق عليهم ناسيا أو متناسيا المبادئ المسيحية.

أهداف البحث:

الهدف من هذا البحث إنما هو محاولة معرفة حقيقة شخصية القديس أوغسطين هل هو قديس أم جلاد ومجرم حرب، الشخصية التي لعبت دورا هاما في الصراع القائم بين الفريقين من خلال تسليط الضّوء على هذه الحقبة من تاريخ المغرب القديم خاصة من الناحية الدينية، ومحاولة معرفة أسباب ظاهرة انقسام الديانة المسيحية إلى فريقين:الكنيسة الكاثوليكية الموالية للسلطة الرومانية وأسباب تخندقها في هذا المعسكر، والدوناتيين المعارضين لها ودوافع موقفهم هذا.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية

International Journal of Research and Islamic Studies

ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

أسباب اختيار الموضوع:

أما أسباب اختيار هذا الموضوع فإنها تعود إلى سببين أساسيين وهما:

أوّلا أسباب ذاتية:

من خصائص العلم أنه تراكمي فكل معلومة تطرح أمام الباحث مجموعة إشكالات، وهذه الإشكالات بدورها تحرض الباحث على الجري وراء الحقيقة التي تختبئ وراء ركام من المعلومات. فأثناء دراستي الجامعية للمسيحية لفت انتباهي شخصية القديس أوغسطين، ولم نكن نعرف عنه إلا الجانب المشرق من حياته وبدا أنه قديس حقا، وأنا أطالع في موضوع المسيحية مررت على جملة عابرة يقول صاحبها: **"وحارب القديس أوغسطين الدوناتيين"**فقلت في نفسي من يكون هؤلاء الدوناتيون؟، وهل يمكن لقديس أن يحارب ويقتل؟ فدفعني الفضول العلمي إلى البحث في هذه المسألة فوجدت وراء هذه الجملة خيرا كثيرا، بالإضافة إلى حبّنا وشغفنا بمثل هذه المواضيع الذي كان السبب الأساسي للكشف عن هذا الموضوع، ولولا ذلك الشغف ما كنت لأصل لمثل هذه المعلومات القيمة، معلومات علمية دقيقة بعيدة عن الذاتية لأقف على حقيقة أوغسطين وصراعه الطويل مع **الدوناتيين"**.

ثانيا أسباب موضوعية:

إنّ الحديث عن ظاهرة انقسام الديانة المسيحية إلى فريقين:الكنيسة الكاثوليكية الموالية للسلطة الرومانية وتخندقها في هذا المعسكر، والدوناتيين المعارضين لهذه السلطة وللكنيسة الموالية لها، والصراع الطويل بينهم لم يظفر بالحيّز الواسع في الكتابات العربية من المسلمين والمسيحيين فيما وقفت عليه، إلا أن الدراسات القليلة في هذا الموضوع بينت قيمته وأهميته، وما يؤكد أهمية هذا الموضوع إهتمام المؤرخين الغربيين بتاريخ الكنيسة في نوميديا وشمال إفريقيا، حيث اهتموا على وجه الخصوص بالحركة الدوناتية وصراعها مع الكنيسة الكاثوليكية والسلطة الرومانية ، وجعلوا سيرة دوناتوس تحتل صدارة أعمالهم التاريخية.هذا السبب دعاني إلى البحث في هذا الموضوع المهم بحثا علميا هادئا هادفا لأجل معرفة حقيقة الدوناتيين، وأسباب هذا الانقسام، ودور القديس أوغسطين في الصراع بين الكنيسة الكاثوليكية والدوناتيين، ومن خلال ذلك معرفة حقيقة هذه الشخصية هل هو قديس أم جلاد ومجرم حرب، فكيف لقديس أن يتحول إلى رجل حرب ويضيّق على إخوانه المسيحيين(الدوناتيين).

إشكالية البحث:

إذا كان للدوناتيين أهمية في تاريخ الصراع الديني المسيحي في المغرب القديم،والذي أدى إلى انقسام الكنيسة الكاثوليكية التي كان من أهم رجالها في القرنيين الرابع والخامس القديس أوغسطين، فإنني أطرح الإشكالية التالية: **من هم الدوناتيون؟ و ما هي أسباب صراعهم مع الكاثوليك؟ ومن هو أوغسطين؟ وما هي علاقته بالحركة الدوناتية؟ وما هي حقيقة هذا الرجل: هل هو قديس أم جلاد ومجرم حرب؟.**

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية

International Journal of Research and Islamic Studies

ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

المنهج المتّبع:
ولأن طبيعة الموضوع المدروس يتسم بالطابع التاريخي آثرت أن أجمع بين منهجين وهما: المنهج الوصفي التاريخي، ولكيلا يكون الموضوع مجرد نقل للأحداث ارتأيت أن أدعمه بمنهج ثاني وهو: المنهج التحليلي:

المنهج الوصفي التّحليلي: هو منهج يعتمد على تتبع الأحداث وفق تسلسل زمني محدّد ومعيّن، يتعيّن على الباحث من خلاله رصد تاريخ الصراع الديني المسيحي في المغرب القديم في الشمال الإفريقي في القرنين الرابع والخامس الميلاديين، وظاهرة انقسام الديانة المسيحية إلى فريقين: **الكنيسة الكاثوليكية** ومذهب الدوناتيين، ثم تحليل أسباب الظاهرة ومعرفة الشخصيات الفاعلة في هذا الصراع وعلى وجه الخصوص شخصية القديس أوغسطين وحقيقة هذه الشخصية.

الدّراسات السّابقة:
أشرت في بداية مقدمة البحث أنّ الحديث عن تاريخ الصراع الديني المسيحي في المغرب القديم والشمال الإفريقي في القرنين الرابع والخامس الميلاديين، وظاهرة انقسام الديانة المسيحية إلى فريقين:

الكنيسة الكاثوليكية ومذهب الدوناتيين لم يظفر بالحيّز الواسع في الكتابات العربية من المسلمين والمسيحيين،إلا دراسات قليلة، بينما حضي باهتمام المؤرخين الغربيين،فقد اهتموا على وجه الخصوص بالحركة الدوناتية وصراعها مع الكنيسة الكاثوليكية والسلطة الرومانية، ومن أهم هذه الدراسات الكتب التالية:

(1)- أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث ودراسات، محمد البشير شنيتي، اهتم الكاتب ببيان الصراع بين المعسكرين، وحاول الوصول إلى أسبابه الحقيقة والجوهرية، والتي تتمثل في مخالفة المبادئ الحقيقية للمسيحية، وقد خالف النظرة الغربية لطبيعة الصراع التي يرجعونها إلى خلافات شخصية بين الأساقفة، كما يبين أن ثورة الدوناتيين هي ثورة اجتماعية أكثر منها دينية.

(2)- قضايا إسلامية معاصرة هل انتشر الإسلام بالسيف؟، عبد الودود شلبي، بين الكاتب الوجه الحقيقي للمسيحية بشكل عام والكاثوليكية على وجه الخصوص التي انتشرت في أوروبا وفي العالم بالقوة والقهر، ثم يختار شخصيات دينية ذائعة الصيت قامت بهذا الدور ويسوق شخصية أوغسطين كمثال .

(3)- الصراع الدوناتي الكاثوليكي في المغرب القديم من خلال كتابات القديس أوغسطين (311م-411م)، عولمي الربيع، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية. اهتم الكاتب بالجانب التاريخي أكثر من الجانب الديني، واهتم بالدوناتيين والظروف التي ساعدت على ظهورها وخلفيات الصراع الدوناتي الكاثوليكي وبين دور السلطة الرومانية في ذلك الصراع ؟، ثم تطور الحركة الدوناتية من حركة دينية إلى حركة ذات طابع اجتماعي سياسي .

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية

International Journal of Research and Islamic Studies

ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

(4)- لاهوت التاريخ عند القديس أوغســطين، وكتابه مدينة الله يظهر فيهما المراحل الفكرية التي مر بها القديس أوغسطين من مرحلة البحث عن الذات إلى مرحلة البحث عن الحقيقة إلى المرحلة الكهنوتية واعتناقه المسيحية ثم التنظير لها.

(5)- دوناتوس الثائر النوميدي الذي أنهى وجود الكاثوليكية في إفريقيا"، دومير محمد. من الكتب القليلة التي أنصفت الدوناتيين بحيث اعتبرهم الكاتب مسيحيين وطنيين قاوموا الاستعمار الروماني، ومع ذلك لم ينصفهم التاريخ؛ لأن التاريخ تكتبه الســلطة الحاكمة ويكتبه الأقوياء، إذن فالكتاب اهتم بالجانب التاريخي البحت للدوناتيين

صعوبات البحث:

لقد تكبدت في سـبيل إنجاز هذا البحث جملة من المشـاق والمصـاعب التي يسـتحيل على أي باحث علمي أن ينكرها أو يتجنّبها وعلى رأسها:

- جدة الموضوع نسبيا، وبالتالي صعوبة دراسته دراسة موضوعية خاصة في الكتابات العربية.
- قلة المراجع في هذا الموضوع خاصة العربية منها.
- معظم الكتب تتحيز لصالح الكنيسة الكاثوليكية وتجرم الدوناتيين في حدود ما وقفت عليه .
- قلة المعلومات ممّا يصعب على الباحث الوصول إلى الحقيقة العلمية المجرّدة.

ومع هذا لم تكن هذه الصــعوبات حاجزا لتَحول دون الوصــول إلى إنجاز هذا البحث في أحســن حلة، وعلى أكمل وجه، ما أمكن إلى ذلك سبيلا، والله ولي التوفيق وهو القادر عليه.

الخطّة المتّبعة:

- ملخص البحث
- مقدمة

1- إرهاصات الإنقسام المسيحي وظهور الدوناتيين .

2- التعريف بالدوناتيين .

3- أسباب الصراع الدوناتي الكاثوليكي.

4- التعريف بالقديس أوغسطين .
5- مراحل تطور فكر أوغسطين .
6- الفكر السياسي المسيحي عند أوغسطين .

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية

International Journal of Research and Islamic Studies

ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

7- أوغسطين الحاقد على الدوناتيين .

8- الخاتمة: وهي عبارة عن نتائج لهذا البحث.

9- توصيات.

فإن أصبت فمن الله تعالى وحده وإن أخطأت فمن الشيطان ومن نفسي. وعلى الله توكّلت وإليه المصير، والحمد لله رب العالمين.

1- إرهاصات الانقسام المسيحي وظهور الدوناتيين:

من أهم ما يلفت انتباه الباحث في تاريخ المغرب القديم في الشمال الإفريقي في القرنين الرابع والخامس الميلاديين:ظاهرة انضواء الكنيسة الكاثوليكية تحت جناح الاستعمار الروماني الوثني، وارتمائها في أحضانه- هذا الاستعمار الذي اعتنق المسيحية حديثا في عهد الإمبراطور قسطنطين سنة312م، لكنه سيطر على هذه البلاد، واستولى على خيراتها، واستعبد أهلها-، آثرت هذه الكنيسة التخندق في معسكر السلطة الحاكمة، والطبقة الأرستقراطية لتنعم بخيرات الأمبراطورية، و تأمن غدر روما ومكرها وقهرها، ناسية أو متناسية قوافل شهداء الاضطهاد والسجن الذي تعرض له المسيحيون أثناء الحكم الروماني الوثني خاصة في عهد الإمبراطور ديوقلديانس.

من أهم رجال هذه الكنيسة **القديس أوغسطين** الذي أعلن حربه على الحركة الدوناتية مستعملا كل الوسائل لإخماد ثوراتها ضد السلطة الرومانية الحاكمة.

هذا السلوك أثار حفيظة الأساقفة النوميديين الأحرار من البربر الذين لم ينسوا إخوانهم شهداء الاضطهاد الروماني الوثني، ولم ينسوا أن الرومان في النهاية هو استعمار احتل الأرض وهتك العرض واغتصب خيرات البلاد، وإن غير ثوبه فإنه يبقى دائما استعمارا لا يجوز موالاته، فعملوا على الوقوف في وجهه ورد عدوانه، واعتبروا كل من يواليه خائنا متخاذلا، سميت هذه الجماعة فيما بعد **بالدوناتيين** نسبة إلى دوناتوس.

جاء في كتاب"دوناتوس الثائر النوميدي الذي أنهى وجود الكاثوليكية في إفريقيا" لمحمد دومير: "وقد كانت الديانة المسيحية أثناء تلك الفترة الزمنية 284مإلى 305م تتعرض لمضايقات كثيرة من قبل السلطة الرومانية التي كان حُكمها بيد الإمبراطور ديوقلديانوس Dioclétien الذي كان وثنيا يقدس التماثيل ويرى في المسيحية خطرا على حكمه. وقد واجهت كنائس نوميديا التي كان أغلب أساقفتها من البربر اضطهاد الجيش الروماني الوثني بكل ثبات وصبر، في حين أن كنائس قرطاج ومحيطها فضلت عدم المواجهة المباشرة مع

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية

International Journal of Research and Islamic Studies

ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

الإمبراطور الوثني وجنوده، فكانوا يجيزون للمسيحي أن يخفي دينه، وللأسقف أن يكذب حفاظا على الحياة والممتلكات"[1].

لقد أبدى الأساقفة البربر في نوميديا استياءهم الشديد مما يقوم به أساقفة قرطاج من تسليم الكتب المقدسة للجيش الوثني قصد مصادرتها والتخلص منها. وكان على رأس هؤلاء الغاضبين الأسقف سيكوندوس، أسقف ميلة، في حين أن منسوريوس أسقف قرطاج اعتبر أن تسليمه الكتب المقدسة تحت حد السيف إنما هو نابع من واجبه في الحفاظ على حياته و على السلم في مجتمعه.

يبدو من خلال هذه التوطئة أن بلاد المغرب القديم في الشمال الإفريقي قبل الوجود الإسلامي كانت فاقدة لوحدتها، سواء الوحدة الدينية أو الوحدة السياسية، فقد كان عبارة عن مجموعة من الكيانات والديانات،فالمسيحية كانت متواجدة على الشريط الساحلي الشمالي ممثلة في الكنيسة الرومانية التي كانت ترعى مصالح الحكم الروماني في المنطقة، وإلى جانبها وجد **المذهب الدوناتي** نسبة إلى **دوناتوس**، الذي كان يهدف إلى الاستقلال والثورة على السلطة الرومانية، فقد كان هذا المذهب العدو اللدود للكنيسة الرومانية باعتبارها الراعية لمصالح روما، كان المذهب الدوناتي مذهبا توحيديا. كما عرف المغاربة الديانة اليهودية التي كان معتنقوها يتمركزون في مناطق آهلة كقبائل الأوراس وسوس، إضافة إلى بعض الديانات الأخرى كالوثنية.وفي هذا السياق يطرح السؤال الآتي: **من هم الدوناتيون؟.**

2- التعريف بالحركة الدوناتيّة :

لم يتعرض المسيحيون الموحدون للتعذيب والتقتيل كما تعرضوا له في عهد الإمبراطور ديوقلديانوس الروماني الوثني خلال الفترة (284م -305م)، حتى سمى المؤرخون هذه الفترة بفترة "الاضطهاد الأكبر"، و مع ذلك تشبث المؤمنون بدينهم، وواجهوا ذلك الاضطهاد بِثبات منقطع النظير، إلا أن عددا من ضِعاف الإيمان لا يستهان بهم ضعفوا فتخاذلوا عن دينهم لهول ما تعرضوا له.

ونتيجة لذلك الاضطهاد الرهيب ظهرت مشكلة الانقسام بقوة في الكنيسة الإفريقية بعد أن كانت موحدة، وظهر المذهب الدوناتي. فكانت الفئة التي ثبتت في الاضطهاد ترى أن الأساقفة الذين ضعفوا وتخاذلوا سقطوا من النعمة ولم يصيروا أهلا للقيام بالخدمة الكهنوتية، واعتبروا كل من سلم الكتب المقدسة إلى الرومان أثناء الاضطهاد هو إنسان خائن يجب عزله من وظيفته في الكنيسة، ويعاد تعميده قبل أن تقبلهم الكنيسة مرة أخرى[2]. تعرف الدوناتية باللاتينية باسم Donatismus ، وباليونانية (Δονατισμός Donatismós هي حركة دينية مسيحية ظهرت شمال إفريقيا في نوميديا خاصة ثم انتشرت، وازدهرت في قرطاج وموريطانيا،

([1]) دومير، دوناتوس الثائر النوميدي الذي أنهى وجود الكاثوليكية في إفريقيا، ص14.

(1) لوريمر، تاريخ الكنيسة عصر الآباء من القرن الأول وحتى السادس، 211-212.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية

International Journal of Research and Islamic Studies

ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

الجزائر والمغرب وتونس حاليا، ازدهرت في القرنين الرابع والخامس ودعي هذا المذهب باسم المذهب الدوناتي نسبةً إلى صاحبه دونات الكبير.

انتشرت هذه الحركة في الأوساط الشعبية، وسكان الريف بقوة في عهد القديس أوغسطين في نهاية القرن الرابع، واختفت بعد الفتح الإسلامي للمغرب في القرن السابع والثامن.

ورغم أنَّ الحركة الدوناتية نجحت في تنظيم نفسها، وبالصُمود في وجه الاضطهادات الرومانيَّة، إلَّا أنها بقيت مقصورةً على سواحل المغرب ولم تصل إلى القبائل الضاربة في بوادي وجبال المغرب الأقصى. وأخيرا عرفت الكنيسة المغربيَّة انقسامًا لم تعرفه من قبل، تمثل في ظهور المذهب الدوناتي نسبةً إلى صاحبه دونات الكبير، الذي أعلن عدم الاعتراف بأي كاهنٍ مهما علت مرتبته طالما كان مُستكينًا وراضخًا للسُلطة الرومانية[1].

في عهد الإمبراطور قسطنطين اعتنقت الإمبراطورية الرومانية الديانة المسيحية،وأصبحت الديانة الرسمية للدولة، وحرصا من الدولة على الوحدة، ونبذا للفرقة والخلاف، دعت إلى عقد مجلس آرل سنة314م الذي كان يسعى إلى إيجاد صيغة نهائية لدمج الكنيسة المسيحية في مؤسسات الدولة، وتجنيد مبادئها ورجالها لدعم السلطة ضمن وحدة الكنيسة والمذهب.

ومن أهم ما جاء في تقرير هذا المجلس أن كل جندي مسيحي يرمي سلاحه فإنه يطرد من المسيحية، وهو تراجع صارخ عن مبادئ المسيحية،مما دفع بالجناح المعارض للسلطة (الدوناتيين) فيما بعد إلى رفض هذه المقررات، وهذه المصالحة مع السلطة، واعتبروها خيانة كبرى، واعتبروا الكنيسة الرسمية كنيسة الكفار الشياطين، وأن كنيستهم كنيسة الأطهار القديسين هي الكنيسة الشرعية[2].

بعد الموقف الجريء الذي صدر من الدوناتيين والرافض لقرارات مجلس آرل حكمت عليهم السلطة الرومانية أنهم خارجون عن القانون وحكمت عليهم الكنيسة بالهرطقة، ومنعوا من دخول الكنائس وتعرضوا للمضايقات والاضطهاد من قبل السلطة الحاكمة[3].

(1)– دومير، دوناتوس الثائر النوميدي الذي أنهى وجود الكاثوليكية في إفريقيا"، الجزائر.

(2)– البشير، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، ص180–181.

(3)– البشير، حول الدوناتية وثورة الريفيين بنوميديا خلال القرن الرابع ميلادي، مجلة الأصالة،العدد60، ص30.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية

International Journal of Research and Islamic Studies

ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

وترتَّب على تحالف السلطة الرومانية والكنيسة ضدَّ المذهب الدوناتي أن أصبح المذهب رمز المُقاومة الشعبيَّة، وازداد انتشاره بِزيادة انتشار الفقر والبُؤس بين الأهالي الذين ثاروا ضدَّ السلطة والطبقة الغنيَّة، ودعو إلى المُساواة والعدالة.

ففي سنة (330م) بلغ من كثرة أتباع دوناتوس أن استحوذوا على جميع الكنائس. واستمرَّ الصراع بين الفريقين وتطور إلى شكل تحالفات حيث تحالف سكان الريف مع الدوناتيين في مواجهة تحالف الكنيسة الكاثوليكية مع السلطة الرومانية إلى ما بعد وفاة دوناتوس سنة355م، واتخذ الصراع شكل الثورة المسلحة في طرابُلس ونوميديا إلى سنة375م.

بعد وفاة دوناتوس ظهر القديس أوغسطين على مسرح الأحداث ليكمل نهج من سبقه في مُحاربة الدوناتيين بكل هوادة، وبكل الوسائل معتبرا إياهم هراطقة خارجين عن الكنيسة الكاثوليكيَّة، على أنَّ الدوناتيَّة استمرَّت في الانتشار بقوة وبسرعة في نوميديا وموريطانيا (الجزائر والمغرب حاليا) وظلت السلطات الرومانية تقاومها، لكنها لم تفلح في القضاء عليها وفي إخماد ثوراتها.

كانت السلطات الرومانية تنظر إلى قادة المذهب الدوناتي على أنهم ثوار خارجون عن القانون، ولذلك أقبل الأهالي على هذا المذهب يعتنقون أفكاره لِما كانت تنطوي عليه نفوسهم من كراهية السلطة الأجنبية الرومانية، حتى قال المؤرخون: أن البربر رفضوا الدخول في المسيحية أولا لكون الرومان وثنيين فلما اعتنق الرومان المسيحية خالفهم البربر، وأسسوا لأنفسهم مذهبا جديدا هو المذهب الدوناتي[1]. وممن ذهب إلى هذا الرأي أحمد توفيق المدني في كتابه قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي قائلا: "وما كادت المسيحية تعلن ديانة رسمية حتى فر منها كثير من معتنقيها البربر، وكانوا إنما اعتنقوها فرارا من سلطة الرومان، فلما اعتنقها الرومان تركوها إلى ديانة أخرى"[2]. كانت الدوناتية التي نشأت في إفريقيا تملك قاعدة شعبية كبيرة، حيث فاقت بها الكنيسة الرسمية المدعومة من روما بسبب قربها من الأهالي وسكان الأرياف، وبسبب تواجدها في الأماكن ذات النفوذ الروماني القليل[3]، فكانت النتيجة أن اعتنق غالبية سكان نوميديا وموريطانيا المذهب التوحيدي للأب دوناتوس، الذي كان يحمل أفكارًا ثوريةً ضد الرومان المحتلين للشمال الإفريقي، وبلغ الدوناتيون من القوة مبلغا جعلهم يشقون عصا الطاعة، وينادون باستقلالهم عن الكنيسة الرسمية، الأمر الذي سبب إزعاجا شديدا للإمبراطورية بسبب هذا الخطر الذي يهدد وحدتها، ما كان سببا في

([1])– الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج1ص 301–303.

([2])– المدني، قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، ص114 .

([3])– غابرييل كامب، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، 290.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية

International Journal of Research and Islamic Studies

ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

قيام صـــراع قوي دام طويلا بين المذهبين، ســقط في فصـــوله الآب دوناتوس قتيلا في ســجون روما ســنة 355م[1].

بعد فشل أسلوب المواجهة المسلحة والاضطهاد في احتواء المعارضة استعملت السلطات الرومانية أسلوب المناظرة والحوار مع أصحاب هذا المذهب، وكان القدِّيس أوغسطين من أبرز الشخصيات الذين قاموا بهذا الدور، فقد ظهرت هذه الشخصية على مسرح الأحداث سنة 392م حين تولى أسقفية هيبو و التي تسمى عنابة حاليا كان من ألد أعداء الدوناتيين.

ترأس القديس أوغسطين مجمع هيبو سنة 393م الذي أدان الدوناتيين، حيثُ شهَّر بهم وهاجم أساليبهم العنيفة، وحرض الدولة عليهم، وأفتى بجواز استعمال العنف ضدَّهم لِكسر شوكتهم وإعادتهم إلى حظيرة الكنيسة الكاثوليكيَّة[2].

3- أسباب الصراع الدوناتي الكاثوليكي:

يمكن تقسيم أسباب الصراع الدوناتي الكاثوليكي من خلال دراسات المؤرخين المختصين في تاريخ المغرب القديم إلى قسمين، أما القسم الأول يمكن أن نصطلح عليه **بالأسباب المباشرة**، وهي أسباب ظاهرية سطحية لا تغوص في جوهر الصراع وحقيقته، والتي تمثلت في الخلافات الشخصية بين الأساقفة في مدينة قرطاجة، حيث اعترض مجموعة من الأساقفة على ترسيم كايكيليانوس أسقفا لكنيسة قرطاجة سنة311م بعد وفاة الأسقف مونسيريوس وعلى رأسهم الأسقف سوكوندوس كما طعنوا في بعض الأساقفة الذين انتخبوه لهذا المنصب.

أما الأسباب غير المباشرة: وهي الأسباب الجوهرية التي تبين حقيقة الصراع، هذه الحقائق اعتاد المؤرخون تجاوزها كما يقول المؤرخ الجزائري محمد البشير شنيتي، وعملوا على إبراز العوامل الشخصية والتنظيمية، فقد ركز بول منصو مثلا على الخلافات الشخصية بين أساقفة نوميديا وقرطاجة[3].

ويمكن أن نجملها في نقطتين أساسيتين وهما:

([1])– رمسيس عوض، الهرطقة في الغرب، ص79.

([2])– الربيع، الصراع الدوناتي الكاثوليكي في المغرب القديم من خلال كتابات القديس أوغسطين (311م–411م)، مجلة المعارف والبحوث والدراسات، العدد13، ص263.

([3])– البشير، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، ص180–181.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية

International Journal of Research and Islamic Studies

ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

1- الاضـــطهاد الروماني الوثني للمســـيحيين الذي أفرز موقفين متباينين على الصـــعيد المســـيحي، موقف الصـامدين وهم الذين عرفوا فيما بعد بالدوناتيين الذين كانوا يعتبرون أنفسـهم حركة تطهير للكنيسـة المسـيحية في بلاد المغرب القديم من الخونة الذين باعوا دينهم أثناء الاضـــطهاد الروماني للمســـيحيين في أواخر القرن الرابع، ثم بعد ذلك هم حركة تطهير للعقيدة المسـيحية، فقد رفض دوناتوس عقيدة الصـليب وناظر في طبيعة الملائكة ويوم البعث وطبيعة المسيح[1].

أما الموقف الثاني فهو موقف المتخاذلين الذين أجازوا لأنفسهم الخضوع لحكم الرومان الوثني، وأفتوا لأنفسهم بجواز تسـليم كنوز الكنيســة، ونســخ من الكتاب المقدس للوثنيين الرومان، وهم الذين تنســب إليهم فيما بعد بالكنيسة الكاثوليكية.

2- ارتماء الكنيسة الكاثوليكية في أحضان السلطة الرومانية الحاكمة، وخدمة مصالحها على حساب الأهالي.

قبل وفاة الآب دوناتوس بسنةٍ ولد **القديس أوغسطين** أو (الملك الصغير) في 23 نوفمبر (تشرين الثاني) سنة 354م في مدينة تاغســت البلدة النوميدية التي تســمى حاليًا مدينة «ســوق أهراس»، والذي ســيكون الممثّل للمسيحية الكاثوليكية الرومانية في مواجهتها للحركة التوحيدية الدوناتية. **فمن يكون القديس أوغسطين؟.**

4- التعريف بـالقـديس أوغســطين: ولـد القـديس أوغســطين في 23 نوفمبر (تشــرين الثـاني) ســنـة 354م بطاغاســت إحدى مقاطعات مملكة روما في مملكة نوميديا بشــمال إفريقيا التي تعرف اليوم بســوق أهراس في الجزائر، من أم أمازيغية وهي القديســة مونيكا، وأبوه باتريســيوس الأفريقي اللاتيني الوثني. تلقّى تعليمه في روما وتعمّد في ميلانو، لما بلغ 11 من عمره أرســلته أســرته إلى مداوروش وهي مدينة نوميدية تقع 30 كلم جنوبي تاغســت، وفي عمر الســابعة عشــرة ذهب إلى قرطاج لإتمام دراســة علم البيان. عاش أوغسـطين في شـبابه حياة مليئة باللهو والعبث، ولما كان في قرطاج كانت له علاقة مع امرأة سـتكون خليلته لمدة 15 عاما، خلال هذه الفترة ولدت له خليلته ابنا حمل اســم أديودادتوسAdeodatus. رغم نشــأته على الديانة المسـيحية إلا أنه ترك الكنيســة والديانة المسـيحية ليتبع الديانة المانوية. فقد جاء في مقدمة كتاب الاعترافات للقديس أوغسطين: "وعجز والده عن تأمين سفره إلى قرطاجا لمتابعة دروسه، فانفتح أمامه باب اللهو واسـعا ولها بأقدس المحرمات، وتعرف على امرأة سـاكنها، واسـتولدها طفلا سـماه إديودات، ولم يأبه لنصـائح أمه وتوجيهاتها الحكيمة .... واسـتهواه المانويون، فمال إلى خزعبلاتهم وجلس إلى موائدهم، وتناول من زادهم فلم يجد لديهم ريا لعطشه، وراحة لنفسه القلقة المضطربة، مع أنه رضـي لمدة وجيزة بتعاليمهم عن

(1)– دومير محمد، دوناتوس الثائر النوميدي الذي أنهى وجود الكاثوليكية في إفريقيا، ص9.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية

International Journal of Research and Islamic Studies

ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

أصـــل الكون ونهاية المخلوقات ووجود الخير والشـــر"[1].عن هذه المرحلة المهمة من حياته والتي تتعلق باعتناقه للديانة المانوية يحكي في كتابه اعترافات القديس أوغســـطين قائلا: "مذ ذلك الحين أخذت الثقة تدخل قلبي شيئا فشيئا مترجيا وجود حل لأقوال الدجالين الخبيثة وتهمهم الموجهة ضد الكتب الإلهية التي خدعوني بها وأضـــلوني". بعد أن عمل في التدريس في تاغســـت وقرطاج انتقل عام 383م إلى مدينة روما ليتعلم علم البيان. وفي أواخر عام 384م قدمه أصـــدقاؤه المانويون لوالي روما ليتم تعيينه أســـتاذا بجامعة ميلانو. ســـرعان ما مل أوغســـطين من حياة العبث واللهو والمجون، ففي ميلانو بدأت حياته بالتحول من خلال بحثه عن الحقيقة والمعنى الحقيقي للحياة، وقد بدأ يتخلى عن الأفكار المانوية خاصـــة بعد لقائه المخيب مع أحد أقطابها، واستمر أوغسطين في هذا التوجه خاصة مع محاولة أمه لإقناعه باعتناق المسيحية ثم إصرارها في محاولاتها ودعائها له الذي لا ينقطع، كما كان للقائه بأمبروسيوس أسقف ميلانو أثرا كبيرا على هذا التحول. لقد أعجب أوغسطين بشخصية أمبروسيوس وبلاغته، وتأثر بمواعظه فقرر ترك المانوية إلا أنه لم يعتنق المسيحية فورا، بل جرّب عدة مذاهب، وأصبح متحمسا للأفلاطونية المحدثة. في صيف386م بعد قراءته سيرة القديس أنطونيوس الكبير، وتأثره بها قرر اعتناق المسيحية، وقام بترك علم البيان، بل وترك منصبه الذي كان يشغله في جامعة ميلانو، ودخل في سلك الكهنوت، حيث قام أمبروسيوس بتعميده وتعميد ابنه في عام387م في ميلانو. في هذا السياق يقول القديس أوغسطين في كتابه اعترافات وهو يناجي ربه: "من أنا؟ وأي شر لم آته فعلا أو قولا أو إرادة؟ أما أنت أيها الرب الصالح والرحيم فقد سبرت بنظرك لجة موتي، ومن عمق قلبي اســـتأصـــلت الفســـاد، فكفرت بكل ما كنت أريد واعتنقت كل ما تريد"[2]. وفي نفس الكتاب تحت عنوان الفتى المراهق يقول: "أريد أن أتذكر الآن أدناس ماضي ونتانة نفسي اللحمية، لا حبا بها بل حبا بك يا إلهي، وشغفا بك أيها الحب أعود بقلب مرير إلى تذكر سبلي الأثيمة وتذوق حلاوتك أيها العذوبة الكاملة التي لا يشوبها رياء .... حرقني العطش إلى الملذات الجهنمية، دفعتني وقاحتي إلى الاستمتاع بشتى أنواعها، فتشوه جمالي، وأصـــبحت قذارة أمام ناظريك، إذ اكتفيت بها، وفتشـــت عن حظوة في أعين الناس"[3]. وفي عام388م عاد إلى أفريقيا، وقد توفيت أمه وابنه في طريق العودة تاركين إياه دون عائلة. لقب القديس أوغسطين (بابن الدموع) نسبة إلى دموع أمه التي كانت تذرف لمدة عشرين سنة رغبة منها خلال صلاتها لرجوعه إلى ديانته الأولى المســـيحية.بعد عودته إلى تاغســـت قام بتأســـيس دير.وفي عام391م تمت تسميته كاهنا في إقليم هيبو الذي يسمى اليوم عنابة الواقعة شرق الجزائر العاصمة.أصبح واعظا شهيرا، وقد عُرِفت عنه محاربته للمانوية. في عام 396م تم تعيينه أسقفا مساعدا في هيبو، وبقي أسقف هيبو حتى وفاته

(1)– أوغسطين، اعترافات القديس أوغسطين، ترجمة الخوري يورضا الحلو، ص1–2.

(2)– أوغسطين، اعترافات القديس أوغسطين، ص101– 168 –29.

(3)– أوغسطين، إعترافات القديس أوغسطين، ص29.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية

International Journal of Research and Islamic Studies

ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

عام 430م رغم تركه الدير ، إلا أنه تابع حياة الزهد في بيت الأسـقفية الأنظمة الرهبانية التي حددها في ديره و التي أهلته أن يكون شفيع الكهنة.

توفي القديس أوغسطين في 18 آب430 م عن عمر يناهز 75 عاما وهو يدافع عن مدينة هيبو ويشجع الأهلي على مقاومة الوندال أثناء حصـــارهم المدينة، فهم في نظره أعداء الإمبراطورية الرومانية حليفة المذهب الكاثوليكي، ولأنهم هراطقة أريوسيون مارقين عن الدين ولإيمان المسيحي[1].

مؤلفاته:

بلغت مؤلفات القديس أوغسـطين حوالي 232 كتابًا، منها كتبه التاريخية مثل "اعترافاته" و"الاسـتدراكات"، ومقالاته الفلسـفية مثل "الرد على الأكاديميين" و"الحياة السـعيدة"، "خلود النفس"، "في الموسـيقى" وأيضًـا أعمالهالجدلية ضد اليهود والوثنيين، وأتباع ماني وضد الدوناتيين والبيلاجيين والأوريجانيين، كما قدم كتبًا في تفسير التكوين والمزامير والرسالة الأولى إلى يوحنا، وموعظة الجبل، وعن اتفاق الإنجيليين، وتعليقات على الرسالة إلى أهل غلاطية والرسالة إلى أهل رومية وإنجيل يوحنا .

5- مراحل تطور فكر أوغسطين:

من خلال هذه الكرونولوجيا السريعة لحياة أوغسطين لاحظ المهتمون بحياته الفكرية وتطورها أنه عاش ثلاث مراحل وهي كما يلي:

المرحلة الأولى: في هذه المرحلة لم يكن البحث الفلسـفي يشـغل حيزا كبيرا من اهتمام أوغسـطين، حيث كان أسـتاذا محاضـرا في البلاغة، وفي عام383م قرأ محاورة شـيشـرون الشـهيرة التي يدافع فيها عن الفلسـفة ويمتدحها، باعتبارها النشاط العقلي الوحيد القادر على إرشاد الإنسان للسعادة الحقة المتمثلة في اللذة العقلية لا في اللذة المادية. وقد أشـعلت هذه المحاورة في قلب أوغسـطين حب الحكمة[2]. تحول بعد ذلك إلى المانوية، وظل مبهورا بها طيلة تسع سنوات وتحديدا من سن التاسعة عشرة حتى سن الثامنة والعشرين، ولم يفق من ذلك الانبهار إلا بعدما عجز أحد أقطابها، ويدعى فوستوس عن الإجابة عن أسئلة طرحها عليه أوغسطين.

المرحلة الثانية: تبدأ سنة 386 وتنتهي سنة391م سنة ترسيمه أسقفا في كنيسة هيبو، وهي عنابة حاليا تقع شرق الجزائر، في هذه المرحلة شغف أوغسطين بدراسة الفلسفة، ويمكن القول أنه خرج من حيرته في البحث عن الحقيقة التي لازمته طوال حياته، واقتنع في الأخير بالتصور الأفلوطيني للحقيقة. ويمكن تسمية

(1)- أوغسطين ، لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، تحقيق زينب الخضيري، ص11-13.

(2)- محمد المشرفي، إفريقيا الشمالية في العصر القديم، ص121.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية

International Journal of Research and Islamic Studies

ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

هذه المرحلة بمرحلة دراسة الحكمة الإنسانية أي: الفلسفة التي كان يعبر عنها أحيانا بمحبة الحكمة. ففي هذه المرحلة كان أوغسطين منشغلا بدراسة الفلسفة باحثا فيها عن الحقيقة.

المرحلة الثالثة: هي المرحلة الأخيرة من تطور فكر أوغسطين، ويطلق عليها بالمرحلة الكهنوتية أو المذهب المسيحي، وتبدأ سنة391م برسمه كاهنا في هيبو سنة391م، وتنتهي بوفاته سنة 430م[1].

تعتبر هذه المرحلة من حياة أوغسطين مرحلة النضج الفكري الذي كان يحضه على إعادة النظر في الموروث القديم، والتحول من **فكر الكهنوت المسيحي** المنعزل عن الحياة إلى **الفكر السياسي المسيحي** الذي يساهم في صناعة الحياة، يظهر هذا جليا في كتابيه مدينة الله ولاهوت التاريخ، هذا الفكر يراه مخالفوه من الدوناتيين انحرافا وارتدادا عن المبادئ المسيحية الحقة. وتنتهي بوفاته سنة 430م[2].

تيقن أوغسطين أن مدينة الأرض أصبحت ذات شأن سواء أرادت المسيحية ذلك أم لم ترده، هذه الأزمة التي عاشها أوغسطين بدلت فكره وغيرته بشكل راديكالي، **وكأنه تخلى عن مبادئ الرهبنة المسيحية** التي تقول:"أعط لقيصر ما لقيصر وأعط لله ما لله". إنجيل متى21/22 ، هذا ما صرح به في كتابه مدينة الله قائلا: "هز غزو القوط بقيادة آلاريك روما فشعرت بأن هذا الغزو لهو أكبر كارثة، وسعى عبدة الآلهة الوهمية والذين نطلق عليهم عادة اسم الوثنيين إلى إلقاء المسؤولية على عاتق الدين المسيحي، وأخذوا يجدفون في حق الله الحق بعنف وكراهية لم يسبق لها مثيل، ولهذا شرعت-مدفوعا بالإخلاص لبيت الله- في كتابة "مدينة الله" لأرد على تجديفاتهم وضلالاتهم[3].

رد أوغسطين على الوثنيين بأن التسامح الذي تدعو إليه المسيحية، والذي هو حجر الزاوية لكل قيمها الأخرى، فالتسامح هو الوجه الآخر للحب الذي يعتبر عماد المسيحية فقيم التسامح ومبادؤها لا تضعف الدولة؛ لأن ذات المبادئ تمسكت بها روما في عصرها الوثني فحققت مجدا، ويستشهد بالمؤرخ سالوست الذي يثني على الرومان لأنهم كانوا يفضلون التسامح على الانتقام، وشيشرون الذي أشاد بتسامح قيصر مع خصومه. وفضلا على ذلك فإن المسيحية لا تطالب المسيحيين بالتسامح مع الأعداء وقت الحرب، وإنما تطالبهم به كأساس متين للعلاقة القائمة بين الإخوة المسيحيين. إن كتاب مدينة الله هو أساس تصور العلاقة بين الكنيسة والدولة في المسيحية، فهو يرى أن السعادة والسلام لا يمكن أن يتحققا في الدولة، ولكن بالرغم من هذا فإن

([1])– المرجع السابق ص 121.

([2])– أوغسطين ، لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين ، تحقيق زينب الخضيري ، ص14–16.

([3])– أوغسطين ، لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين ، تحقيق زينب الخضيري ، ص129 –130 .

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية

International Journal of Research and Islamic Studies

ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

أوغسطين دعا إلى علاقة براجماتية بين كنيسة الله ودولة البشر، وهي علاقة أساسها التعايش السلمي، فالمسيحية في عصر اضطهاد الدولة الرومانية كانت تعتبر الدولة نتيجة من نتائج الخطيئة، بل هي بمثابة العقاب على هذه الخطيئة، الأمر الذي يستحيل معه أن تكون أداة لتحقيق العدل والفضيلة والسعادة الحقيقيتين، أي: أنها اعتبرتها جزءا من مملكة الشيطان[1].

أما بعد أن أصبحت المسيحية هي الدين الرسمي للدولة فقد عاد المسيحيون إلى التصور الكلاسيكي للدولة، الذي يعتبر الدولة أعلى وأنبل شكل من أشكال التجمع الإنساني الذي يمكن أن يحقق الطيبة للمواطنين، ويتيح لهم الفرصة ليحققوا إنسانيتهم، كان أوغسطين على علم بهذا التصور، ومع ذلك كان يعلم أن جمهورية أفلاطون وهي خير تصوير لمفهوم الدولة الكلاسيكي لا يمكنها التحقق على أرض الواقع، فالجمهورية الوحيدة التي يتحقق فيها السلام والعدل هي مدينة الله التي وجدت منذ الأزل في السماء. وكان الحل الحكيم الذي ابتكره أوغسطين هو التوفيق بين الرؤيتين، بجعلها علاقة تعايش مع اختلاف، وهو ما يطلق عليه: "التعايش السلمي" فهي خليط بين مملكة الشيطان ومدينة الله، والحالة الوحيدة التي يجوز فيها للمسيحيين عصيان الحاكم وعدم طاعته عندما يأمر بمخالفة الشريعة صراحة كأن يأمر بعبادة الأصنام، وحتى في هذه الحالة فلا يجوز مقاومته بالثورة عليه، وإنما يكفيه عدم طاعته وهو ما يعرف بالمقاومة السلبية، يقول أوغسطين: "كان جوليان إمبراطورا مارقا مرتدا وإنسانا سيئا ووثنيا، ومع ذلك كانوا يطيعونه كلما طلب منهم الانضمام إليه لمحاربة أمة من الأمم، فإذا طلب منهم عبادة الأوثان أو تقديم القرابين لها كانوا يرفضون. وقد اتفق الباحثون على أن أوغسطين دعا دعوة سافرة للتعايش السلمي بين الكنيسة والدولة[2].

يبدو أغسطين في كتابه لاهوت التاريخ مشوش الفكر، فمرة يرى أن مدينة الله هي الوطن الحقيقي للمسيحيين فلا سعادة ولا سلام إلا في رحابها، ومرة يشيد بمدينة الأرض التي أصبحت ذات شأن سواء أرادت المسيحية ذلك أم لم ترده خاصة إذا كان السلطة تدين بالمسيحية، وأخرى يرى بأنه يجب التوفيق بين المدينتين، وكأن هناك قوتان تتجاذبانه فتارة يحن إلى مبادئ المسيحية الأولى وعهد شهداء الاضطهاد الروماني فتراه يشيد بمدينة الله، وتارة تجذبه مدينة الأرض ببريقها ومتعتها ومتاعها فلا يرى بديلا لها، وهذا الذي حدث مع المسيحية الكاثوليكية ومع أوغسطين الذي خرج من عزلة الدير وعبادة العمود إلى مدينة هيبو ليترسم كاهنا ثم أسقفا ويتولى أمور الناس فيأمر وينهى ويشرع، وفي غمرة الانتصار يقع في ظلم إخوانه الدوناتيين، ويحرض عليهم السلطة، وينسى التسامح المسيحي الذي يشكل حجرة الزاوية لكل قيمها الأخرى وينسى مبادئه المسيحية التي تربى عليها.

(1)- أوغسطين القديس، لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، تحقيق زينب الخضيري، ص129.

(2)- أوغسطين القديس، لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، تحقيق زينب الخضيري، ص130.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية

International Journal of Research and Islamic Studies

ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

7- أوغسطين الحاقد على الدوناتيين: تم تعيين القديس أوغسطين أسقفا لكنيسة هيبو -عنابة حاليا- وهو الحامل للفكر الكنيسي الكاثوليكي الروماني، وبالطبع فهو الحاقد على الدوناتية وأتباعها من البربر.لقد سعى أوغسطين بكل الوسائل للقضاء على الحركة الدوناتية، فبعد أن فشل في إقناع خصومه بالحجة والحوار الهادئ من خلال مناظرته لهم، حيث عقد معهم26 مجلسا بين سنة 392م و410م كان أهمها مجلس هيبو عنابة سنة 393م ومجلس قرطاج سنة397م، فهو يفتخر أنه صاحب اليد الطولى في دفع السلطات الرومانية إلى إصدار أحكام تعسفية في حق الدوناتيين، كان منأهم هذه الأحكام إصدار مرسوم 15جوان 392م، ويظهر ذلك في رسالته إلى أحد الأساقفة الدوناتيين قال فيها: "لقد أجبرناكم على دفع عشرة ليرات ذهبية.

مع دخول القرن الخامس الميلادي ومع تزايد قوة الدوناتيين وتوسع انتشارهم غيّر أوغسطين أسلوبه في مواجهتهم بعد أن أيقن أنه لا سبيل إلى القضاء على الدوناتيين إلا بالتركيز على شق صفهم من الداخل، استعمل هذا الأسلوب الذي لا يليق بشخص مثله -كما تصوره المصادر الكاثوليكية- لكنه لم يفلح إلا قليلا.

ومن أساليبه في حربه مع خصومه تحريضه السلطات الرومانية في قرطاج وروما على تفعيل أحكام الاضطهاد والتنكيل والتضييق بمزيد من الضرائب والجبايات، وصل بعضها إلى تغريم بعض الأساقفة من خصومه أرطال من الذهب[1].

ولندرك مدى الآثار السلبية العميقة في نفوس الدوناتيين التي تركتها اضطهادات سنة347م في نوميديا نترك المجال لأسقف سيرتا بتيليانوس ليبين هذه الآثار، وهو يخاطب خصومه من الكاثوليك في خطاب

ألقاه في ذكرى تلك الحوادث قائلا: "إن الكتاب المقدس يقول لا تقتل أخاك وأنتم قتلتمونا .... ولا تأخذ متاع غيرك وأنتم نهبتم أملاكنا واعتبرتموها ملكا لكم"[2].

لكن القديس أوغسطين يبرر أعماله الوحشية هذه بقوله: "لماذا لا تجبر الكنيسة أبناءها على العودة إليها مادام هؤلاء الأبناء الضالون يستعملون القوة لمقاتلة الآخرين"[3].

([1])– دومير محمد، دوناتوس الثائر النوميدي الذي أنهى وجود الكاثوليكية في إفريقيا"، ص39.

([2])– عبد الحميد عمران، القديس أوغسطين وصراعه مع الدوناتيين، مجلة المعارف للبحوث والدراسات الإسلامية، العدد11، ص91.

([3])– المرجع السابق، ص91.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية

International Journal of Research and Islamic Studies

ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

8-**أوغسطين الوجه الآخر(جلاد ومجرم حرب):** يقول القديس أوغسطين: "إن المسيحية لم تستعمل القوة من عهد عيسى عليه السلام لأنها لم تتح لها الفرصة ولم تتيسر وسائلها، ولو أتيح لها ذلك ما تورعت عن قهر الأمم". طبعا لم يجانب أوغسطين الصواب فالواقع يصدق مقولته، فمنذ اللحظة الأولى من اعتناق الإمبراطور قسطنطين المسيحية وتولي الكنيسة السلطة المدنية لم تتورع المسيحية الكاثوليكية عن قهر الأمم، فحجرت على العقل التفكير،وكأن لسان حالها يقول: ما أريكم إلا ما أرى، فقد أصدر قسطنطين سنة314م قانونا يقضي بإحراق كل يهودي ألقى حجرا على كل من اعتنق المسيحية وكل ميسحي تهود، وبمصادرة أملاكه.

ولكي يبرر أوغسطين تصرفاته ويلبسها الصفة الشرعية يستدل على آرائه بأحداث من نصوص العهد القديم من الكتاب المقدس فيقول: "ألم يذبح اليشع بيده أنبياء بعل؟ ألم يحطم حزقيال ويوشع ملك بختنصر بعد ارتداده؟.

ثم يستدل بقول المسيح عليه السلام لحواريه: "أجبروهم على اعتناق دينكم" وقوله عليه السلام: " لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الأرض، ما جئت لألقي سلاما، بل سيفا، فإني جئت لأفرق الإنسان من أبيه والابنة من أمها والكنة من حماتها، وأعداء الإنسان من أهل بيته...".

وهربا من تأنيب الضمير كان القديس أوغسطين يجتهد ليجد سندا في التوراة للفضائح والمذابح التي كانت ترتكبها الكنيسة الكاثوليكية في حق الدوناتيين وفي حق كل من يخالف عقيدتها فتوصي بحرق المدن بعد فتحها وقتل كل من فيها من رجال ونساء وأطفال، جاء في سفر يشوع21/6: "وقَتلوا بحد السيف إكراما للرب جميع ما في المدينة من رجال ونساء وأطفال وشيوخ، حتى البقر والغنم والحمير"[1]. ولذلك لا غرابة أن تسمع ملكة إنجلترا (ماري) وهي تصرح في القرن16م قائلة: "بما أن أرواح الكفرة سوف تحرق في جهنم أبدا فليس هناك أكثر شرعية من تقليد الانتقام الإلهي بإحراقهم على الأرض"[2].كما دعا أوغسطين إلى ضرورة اللجوء إلى "إرهاب مجد" تقوم به السلطة الزمنية لحمل الدوناتيين على الرجوع إلى الكنيسة الكاثوليكية اعتمادا على قول المسيح عليه السلام: "ادفعوهم إلى دين الله دفعا".قال عنه القديس جيروم: "إن عرف فضيلتك سرى في كل مكان، إن الكنيسة الجامعة تمدحك وتعترف بأنك المجدد لعقائد إيمانهم القديم، والهراطقة يرهبونك، ويرون فيك خصمهم الأكبر القدير". هو مرآة الأساقفة، وزينتها، وشعاع الكهنوت، ونور المعلمين، وشمس أفريقيا ومعلم اللاهوت، وسوط الهراطقة ودرع الإيمان وسماء الكنيسة، وركن

(1)- جمعية الكتاب المقدس، الكتاب المقدس، سفر يشوع6/ ،21 ص267.

(2)- شلبي عبد الودود، قضايا إسلامية معاصرة هل انتشر الإسلام بالسيف ص96-97-99-100.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية

International Journal of Research and Islamic Studies

ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

الحقيقة التي لا يتزعزع[1].هذا هو الوجه الآخر للقديس أوغسطين بل الوجه الحقيقي له كما أخبر عنه محبوه قبل خصومه فها هو القديس جيروم يباهي به أصحابه قائلا: "... والهراطقة يرهبونك، و يرون فيك خصمهم الأكبر القدير" و يقول آخر مادحا إياه: "... وهو سوط الهراطقة ودرع الإيمان وسماء الكنيسة".

بل إن أوغسطين يقر بنفسه ممارسته العنف ضد خصومه الدوناتيين بتحريض السلطة الزمانية عليهم قائلا: "قد يغيظكم أن ننزع من فيالقكم أسلحتها الحقيقية، وإن لم يكن ذلك طبقا للقوانين فبالخطاب على الأقل".
ولعل ذلك ما شجع السلطة الزمانية من استصدار ترسانة من القوانين الداعمة للكنيسة الكاثوليكية على حساب الدوناتيين. من أهم هذه القوانين: القانون الذي صدر في 395/03/23م الذي يأمر بتوفير الحماية للكنيسة الكاثوليكية من عن المنشقين الدونات[2].

الخاتمة:

لا يمكن معرفة الوجه الآخر للقديس أوغسطين إلا إذا تحدثنا عن هذه الشخصية في إطارها الجغرافي والتاريخي، فالظروف التي عاشها أوغسطين في هذا الإطار لا يمكنها إلا أن تصنع هذا الوجه الآخر من هذه الشخصية الذي أخفاه التاريخ إنه الجلَاد الحقود على الدوناتيين، كيف لا وهو الذي تربى وترعرع في جو الصراعات والانقسامات الدينية التي عرفها المغرب القديم في القرنين الرابع والخامس ميلاديين، وهو الذي فتح عينيه فوجد نفسه في أحضان المسيحية الكاثوليكية الموالية للسلطة الرومانية الحاقدة على الدوناتيين الذين تعتبرهم هذه الكنيسة هراطقة خارجين على القانون يجوز اضطهادهم والتضييق عليهم في أرزاقهم.
والملاحظ أن أوغسطين لم يذكر في مؤلفاته الكثيرة بل إنه لم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى أن السلطة الرومانية استعمار اغتصب أرضه، واستغل ثروت بلاده، واستعبد شعبه يجب مقاومته إلى جانب شعبه وإخوانه الدوناتيين، وهو الأمازيغي ابن مدينة هيبو، وبالمقابل يصيبه الرعب حين يصله نبأ غزو القوط لمدينة روما كما يصرح في كتابه مدينة الله قائلا:"هز غزو القوط بقيادة آلاريك روما فشعرت بأن هذا الغزو لهو أكبر كارثة"، وكأنه ابن روما، وليس ابن هيبو الأمازيغي، لكن إذا أمعنت النظر في المسألة لوجدت أن الأمر طبيعي خاصة إذا علمنا أن أباه ذو أصول رومانية كما يذكر صاحب كتاب دوناتوس الثائر، فهو ينزع ويميل إلى أصوله الرومانية الاستعلائية التي ترى في الدوناتيين البربر أنهم

(1)– عولمي الربيع، الصراع الدوناتي الكاثوليكي في المغرب القديم من خلال كتابات القديس أوغسطين (311م–411م) مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية، العدد 11ص281.

(2)– عمران عبد الحميد، القديس أوغسطين وصراعه مع الدوناتيين، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 11ص85.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية

International Journal of Research and Islamic Studies

ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

همج لا يصلح أمرهم إلا بالحديد والنار، فالعرق دساس خاصة إذا أغدقت عليه روما بالمال والمنصب. ثم إن أوغسطين عاش بعيدا عن هموم أمته فقد عاش شبابه حياة اللهو والمجون والعبث، وبعدها عاش مع الفلسفة اليونانية حياة الترف الفكري في البرج العالي بعيدا عن واقع الناس كما صرح في كتابه الاعترافات، أما في المرحلة الأخيرة من حياته فقد اعتزل حياة الناس في الدير يتعبد حتى تشبع بالعقيدة الكاثوليكية الحاقدة على الدوناتيين والممزوجة بالفكر الأفلوطيني اليوناني المتعالي، وهذا ما أشار إليه في كتابه لاهوت التاريخ.

إن العزلة التي عاشها أوغسطين خلال مراحل حياته بعيدا عن واقع الناس، وهموم أمته سواء في مرحلة عبثه و مجونه أو في مرحلة انبهاره بالفلسفة الأفلاطونية المحدثة اليونانية المتعالية، أو فيما يعرف بالمرحلة الكهنوتية التي صنعت منه ذلك الجلاد الحاقد على إخوانه الدوناتيين الذين تنكر لهم و ارتمى في أحضان أعدائه ناسيا أو متناسيا المبادئ المسيحية، و عهد شهداء الاضطهاد، وهو يحسب أنه أحسن صنعا.

بخلاف نظيره دوناتوس الذي عاش لوطنه ودينه، مدافعا عن قضايا أمته بكل عزم وإصرار حتى مماته بشهادة القديس أوغسطين .

نتائج البحث:

1- للقديس أوغسطين وجه آخر لم تذكره كتب التاريخ إلا قليلا وهو الجلاد ومجرم حرب.

2- لا يمكن معرفة الوجه الآخر للقديس أوغسطين إلا في إطار التاريخ والجغرافيا الذين نشأ فيهما.

3- الديانة المسيحية الأولى في المغرب القديم كانت ديانة توحيدية قبل مجمع نيقية سنة325م.

4- الانقسام المسيحي في القرن الرابع والخامس ميلاديين كان سببه الاضطهاد الروماني الوثني.

5- كانت المسيحية الكاثوليكية الكنيسة الرسمية في المغرب القديم موالية للسلطة الرومانية، وكانت الدوناتية المذهب المعارض لها.

6- يعتبر القديس أوغسطين من أهم شخصيات الكنيسة الكاثوليكية في القرن الرابع والخامس ميلاديين في بلاد المغرب القديم، بينما كان دوناتوس شخصية الدوناتيين الشعبية البارزة في تلك الفترة .

7- حكمت الكنيسة الكاثوليكية على الدوناتيين بالهرطقة والخروج عن القانون الروماني.

التوصيات:

1- إعادة النظر في مسألة تمجيد شخصية القديس أوغسطين وتسمية الشوارع باسمه، باعتباره خادم الاستعمار الروماني ومجرم حرب.

2- ترقية شخصية دوناتوس زعيم الدوناتيين كشخصية وطنية باعتباره زعيم قاوم الاستعمار الروماني.

3- الاهتمام بتاريخ الدوناتيين باعتباره تاريخ وطني على مستوى المؤسسات التعليمية خاصة الجامعات.

قائمة المراجع :

(1)- أوغسطين، إعترافات القديس أوغسطين، ترجمة الخوري يورضا الحلو، بيروت، دار المشرق، ط4، 1991

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية

International Journal of Research and Islamic Studies

ISSN :2708 – 7883 Online ISSN : 2708 – 7891

(2)- أوغسطين القديس، لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، تحقيق زينب محمود الخضيري، مصر القاهرة، دار قباء للطباعة و النشر، 1998م، ط1.
(3)- توفيق المدني أحمد، قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1986.
(4) – جاريث ب ماثيوز، أوغسطين عقول عظيمة، ترجمة أيمن فؤاد زهري، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط1، 2013.
(5) – جمعية الكتاب المقدس، الكتاب المقدس، لبنان، دار الكتاب المقدس، ط4، 1995.
(6)- جون لوريمر، تاريخ الكنيسة عصر الآباء من القرن الأول و حتى السادس، القاهرة، دار الثقافة، ط1، 2013.
(7)- دومير محمد، دوناتوس الثائر النوميدي الذي أنهى وجود الكاثوليكية في إفريقيا"، الجزائر، لامط، لاط، لاس.
(8)- رمسيس عوض، الهرطقة في الغرب، بيروت لبنان، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، 1997.
(9)- شلبي عبد الودود، قضايا إسلامية معاصرة هل انتشر الإسلام بالسيف؟، أستراليا سيدني، دار الفتح للإعلام العربي، 2005، ط1.
(10)- شنيتي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث و دراسات، الجزائر ، دار الحكمة، 2003، ط1.
(11) - شنيتي محمد البشير، حول الدوناتية وثورة الريفيين بنوميديا خلال القرن الرابع ميلادي، مجلة الأصالة، العدد60، 1978، الجزائر، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية.
(12)- عمران عبد الحميد، القديس أوغسطين وصراعه مع الدوناتيين، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد11، جامعة الشهيد حمة لخضر، الجزائر، الوادي، 2015.
(13)- عولمي الربيع، الصراع الدوناتي الكاثوليكي في المغرب القديم من خلال كتابات القديس أوغسطين (311م-411م) مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد11ص263، جامعة الشهيد حمة لخضر، الجزائر، الوادي ،2015.
(14)- غابرييل كامب، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، المغرب، دار إفريقيا الشرق، ط1، 2014.
(15) – محمد محي الدين المشرفي، إفريقيا الشمالية في العصر القديم، وجدة دار الكتب العربية، ط4، 1969.
(16) – الميلي محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، لاط.